المنتفق في مشاهدات الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه عام ١٦٢٥م

Al - Muntafiq in the Observations of the Italian Traveler Della Valle in 1625 AD

أ.م.د. فاطمة عبد الجليل ياسر

Asst. Prof. Dr. Fatima Abdul Jaleel Yasir

أ.م. شيماء ياس خضيّر

Asst. Prof. Shaima'a Yas Khudhair

جامعة ذي قار/ كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة

University of Thi - Qar / College of Education for the Humanities

الملخّص

تناول البحث رحلة الرحّالة ديللافاليه إلى جنوب العراق وبالتحديد المنتفق، وعن طريق مشاهداته رصد وتتبّع الواقع السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ في المنطقة، فقد نقلت تلك المشاهدات التي امتازت بدقّة الملاحظة وصفًا للمنطقة وبيئتها الجغرافيّة، كما وصف السكّان الذين يسكنون في تلك المنطقة، وطريقة عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم، التي أعطت تصوّرًا واضحًا عن الطبقات الاجتماعيّة، مثل: بيان صفات كلّ من البدو، وسكان الحضر، والمعدان، وأيضًا بيّن ديللافاليه الواقع الاقتصاديّ المتمثّل بفرض الضرائب التي امتازت بكثرتها، كما سجّل المعالم الحضاريّة للمنطقة، ومنها آثار المقيّر (أور)، وأسهمت رحلة الرحّالة ديللافاليه إلى العراق بشكل عامّ والمنتفق بشكل خاصّ في رصد الأحداث والظروف التي مرّت بها المنطقة.

الكلمات المفتاحيّة: العراق، المنتفق، ديللافاليه، الرحّالة.

Abstract

This paper examines the traveler Della Valle's journey to southern Iraq. specifically to Muntafiq. Through his observations. he documented and traced the political. economic. and social realities of the region. These observations. characterized by detailed observation. provided a description of the area and its geographical environment. Additionally. he described the inhabitants of the region. their way of life. customs. and traditions. presenting a clear picture of the social classes. including the characteristics of the Bedouins. urban dwellers. and the Ma'dan (Marsh Arabs). He also highlighted the economic realities of the region. particularly the excessive taxation imposed on the population. Furthermore. he recorded the region's cultural landmarks. including the ruins of Al - Muqayyar (Ur). Della Valle's journey to Iraq in general. and Muntafiq in particular. contributed to documenting the events and circumstances the .region experienced

Keywords: Iraq. Muntafiq. Della Valle. traveler

المقدّمة

تكتسب دراسة الرحلات أهمّيّة خاصّة في كتابة التاريخ الحديث، وتأتي أهمّيّتها في وصفها الأحداث والوقائع السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، ودراسة تلك الرحلات تعطينا تصوّرًا واضحًا عن طبيعة حياة الانسان في تلك الأزمنة التي حصلت فيها الرحلة، وتصوّر لنا طبيعة الأحداث والتطوّرات الحاصلة في بلد ما عن طريق زيارة الرحّالة لذلك البلد.

ويعود سبب اختيارنا للرحلة المعنيّة في دراستنا وهي رحلة الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه للعراق عام ١٦٢٥م ومروره باتّحاد قبائل المنتفق، أنّها امتازت بنقل للأحداث السياسيّة والاجتماعيّة التي كانت سائدة في ذلك الاتّحاد، وممّا امتازت به مشاهداته انه كان يضع وصفًا عن الوضع السياسيّ للبلد.

فضلًا عن اهتمامه بالشخصيّات الحاكمة. وخلال رحلته للعراق أعطى لنا تصوّرًا واضحًا عن المنطقة عن طريق توثيقه الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والحضاريّة فيها، وهنا تأتي أهمّيّة هذه الدراسة بكونها وصفًا للحالة أو الوضع السائد في المنتفق بجميع جوانبها المختلفة.

تضمّن البحث ثلاثة مباحث ومقدّمة وخاتمة، تطرّق المبحث الأوّل إلى الرحلات من ناحية الأهمّيّة والأهداف، في حين جاء المبحث الثاني ليناقش نشوء اتّحاد قبائل المنتفق وما رافقه من ظروف سياسيّة التي ساعدت على بروزه كوحدة سياسيّة لها ثقلها في المنطقة، ودرس المبحث الثالث رحلة

ديللافاليه لاتّحاد قبائل المنتفق، الذي أوضح في مشاهداته الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة في الاتّحاد.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر المتنوّعة، ومنها كتاب (رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر)، فضلًا عن الرسائل والأطاريح الجامعيّة، والكتب التاريخيّة، والمجلّات الأكاديميّة التي كان لها إسهام واضح في البحث.

المبحث الأول

أهمّيّة دراسة الرحلات وأهدافها

تُعدّ رحلات الرحّالة الأجانب من المصادر المهمّة لدراسة تاريخ؛ لأنّ أهمّيّتها تكمن لا في عددها الضخم، وإنّما في مادّتها الغزيرة، ومنهجيّتها التي درست جوانب مختلفة وممتعة من تاريخ العراق الحديث، ولا نعرف بالضبط عدد تلك الرحلات، ففي الوقت الذي ذكر فيه لونكريك (٧٦) رحلة أغلبها أوربّيّة[١]، قدّرها بعض الباحثين العراقيّين بما يقرب من (٣٠٠) رحلة[٢]، وعلى الرغم من هذا العدد الضخم إلّا أنّ معرفتنا ما زالت قليلة بتلك الرحلات، ولعلّ السبب في ذلك هو أمّا تعدّد اللغات التي كُتبت بها، أو صعوبة العثور عليها في أوربّا لقدمها[٣]، ونتيجة ذلك أدّى إلى صعوبة استحصالها أو العثور عليها.

---

(١) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخيّاط، ط٣، بغداد، ١٩٦٢، ص٣٣٧ - ٣٤٧.

(٢) كوركيس عوّاد، بيبلوغرافيا عن الرحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلّة المورد، المجلّد ١٨، العدد٤، العراق، ١٩٨٩، ص٢١٧ - ٢٤٥.

(٣) عادل محمّد عليّ الشيخ حسين، رحلة ليونهارت رأوولف إلى العراق وما انطوت عليه من نبات وشجر، مجلّة المورد، المجلّد١٨، العدد ٤، العراق، ١٩٨٩، ص٩٧؛ فاطمة فالح جاسم وفاطمة عبدالجليل ياسر، الحصار الفارسيّ لمدينة البصرة عام (١٦٢٤ - ١٦٢٥) وفق مشاهدات الرحّالة الايطاليّ ديللافاليه، مجلّة تراث البصرة، المجلّد٣، العدد٩، البصرة، ٢٠١٩، ص٢٢٢.

اجتاحت فكرة الرحلات أوربّا خلال القرن الخامس عشر؛ نتيجة ظهور علم الانسانيّات[1]، إذ انكبّ أُدباء ذلك العصر بحثًا وتنقيبًا في مخلّفات الأقدمين، وهذا الأمر ساعد على بروز رغبة للاطّلاع على الشرق الغنيّ بتراثه الفكريّ وحضاراته العريقة، ممّا أدّى إلى انتشار الدراسات العربيّة والسريانيّة والتركيّة، وظهر ذلك تحديدًا في نهاية القرن السادس عشر[2]. ويمكننا القول: إنّ إحدى العوامل التي ساعدت على بروز هذه الفكرة أو الرغبة في الرحلات هي تأثير النهضة العلميّة على الأوربّيّين، إذ إنّها ساعدت على تحفيزهم في التعرّف على مناطق الشرق.

وكان لأسماء المدن العراقيّة ومنها: بابل، ونينوى، وبغداد وغيرها التأثير على مسامع الرحّالة، إذ كان لها وقعها السحريّ في مخيّلتهم بأخبارها وأساطيرها وتراثها، فضلًا عن ما عرف عن الشرق بشكل عامّ والعراق بشكل خاصّ من الأسواق الغنيّة بكلّ شيء، وممّا زاد جذب الرحّالة إلى هذه المناطق هو ما تميّزت به من تراث الحضارة العربيّة بمختلف ميادينها، ومنها: الطبّ، والرياضيّات، والفلك، والهندسة وغيرها[3]، فساعدت هذه الأُمور إلى

---

(١) الانسانيّات: هي التخصّصات العلميّة التي تدرس حالات الانسان باستعمال وسائل تحليليّة، نقديّة أو فكريّة، والعلوم الانسانيّة تتضمّن اللغات القديمة، والأدب، والتاريخ، والفلسفة، والديانة، والفنون البصريّة والتعبيريّة كالموسيقى والمسرح، والعلوم الانسانيّة تُعدّ أيضًا علوما اجتماعية شاملة للتاريخ. يُنظر: جبران مسعود، الرائد، ط٧، بيروت، ١٩٩٢، ص١٣٨.

(٢) ديللافاليه، رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر، ترجمة وتحقيق: بطرس حدّاد، بيروت، ٢٠٠٦، ص٧.

(٣) المصدر نفسه.

الاطّلاع على تلك المناطق بشكل ملموس عن طريق التعرّف على أحوالها الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة.

وأسهمت الرحلات في بيان أحوال المدن التي مرّت بها، إذ إنّها سجلت انطباعات الرحّالة الأوربّيّين عن الأوضاع السياسيّة لتلك المدن، كما أنّها تطرّقت إلى أوضاعها الاجتماعيّة من خلال إعطاء نبذه عن تركيبها الاجتماعيّ، وكما بيّنت أيضًا أحوالها الثقافيّة والدينيّة، وبهذا تُعدّ تلك الرحلات من الدراسات التي وضّحت أو بيّنت تاريخ العراق في العصر الحديث، إلّا أنّه يشوبها بعض الأخطاء بوصفها انطباعات شخصيّة لرحّالة عن تلك المناطق التي زاروها.

ممّا لا شكّ فيه أنّ غايات الرحّالة الأوربّيّين وأهدافهم كانت متباينة ومُتعدّدة، لكنّها بالتأكيد تعكس الاهتمام الأوربّيّ بالعراق منذ مطلع القرن السادس عشر، ومنها الدافع الدينيّ الذي تمثّل بنشر الديانة المسيحيّة في المناطق البعيدة والنائية عن أوربّا، إذ قامت الكنائس بإرسال الإرساليّات التبشيريّة لاسيّما الكرمليّة[1].

ولم تكن الرحلات الأوربّيّة بعيدة عن الأهداف السياسيّة، إذ أخذت الدول الأوربّيّة تنظر إلى تلك المناطق على أنّها مناطق ذات أهمّيّة استراتيجيّة، وكان العراق جزءًا مهمًّا من تلك المناطق، بوصفه مركزًا مهمًّا لطرق المواصلات البرّيّة والنهريّة بين أوربّا والهند، إذ تأتي البضائع من الهند إلى البصرة، ومن ثمّ إلى بغداد، ومنها إلى حلب، لتجد طريقها إلى أوربّا، وظهر ذلك عندما بدأ

(١) للتفاصيل حول الموضوع يُنظر: حيدر جاسم الرويعيّ، نشاطات الآباء الكرمليّين في العراق حتّى الحرب العالميّة الأولى، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، مج٨، العدد١ – ٢، القادسيّة، ٢٠٠٥، ص١٠٨ – ١٢٨.

الصراع والتنافس الأوربّيّ للسيطرة والتوسّع في العالم الإسلاميّ، هذا التوسّع الذي بدأه الهولنديّون والبرتغاليّون، ثمّ الإنكليز والفرنسيّون، بوصفها قوى بحريّة استطاعت الوصول إلى مناطق مختلفة من الدولة العثمانيّة ومنها العراق، موفّرين - أي: الرحّالة - معلومات تفصيليّة ودقيقة ومهمّة لحكوماتهم، أسهمت إلى حدٍّ بعيد في توجيه وبلورة سياسة تلك الدول نحو المنطقة[1]؛ لذلك سعت الدول الأوربّيّة إلى إيجاد موطئ قدم لها في المنطقة وخاصّة العراق، لذا فإنّها سخّرت إمكانيّات الرحّالة لهذه المهمّة.

كما كان للدافع الاقتصاديّ دور كبير في تحفيز هذه الرحلات، إذ رغبت الدول الأوربّيّة في السيطرة على تجارة الحرير والتوابل من خلال البحث عن الطرق المؤدّية للشرق سواء أكانت طرقًا برّيّة أم بحريّة، فكان اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، والوصول إلى جزر الهند الغربيّة والخليج العربي[2]، إذ عُدّ الدافع الاقتصاديّ من الدوافع المهمّة التي شجّعت في البحث عن الطرق والمواصلات التجاريّة، وهذا ما نجده واضحًا في كتابات الرحّالة التي تناولت بشكل مفصّل الطرق التجاريّة في العراق بنوعيها البرّيّ والنهريّ.

ومن الدوافع الأُخرى لتلك الرحلات ما تمثّل بالبعثات العلميّة التي اهتمّت بالنواحي العلميّة والاستكشافيّة، مثل رحلة ليونهارت رأوولف للعراق في عام ١٥٧٣[3]، التي هدفت إلى دراسة وجمع أنواع كثيرة من النباتات والأشجار التي تنبت

---

(١) هشام سوادي هاشم، أربيل في كتابات الرحّالة الأجانب في العهد العثمانيّ، مجلّة التربية والعلم، مج، ١٥، العدد ٣، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ص٩٠.

(٢) يوسف حبي، ديللافاليه في العراق، مجلّة آفاق عربيّة، السنة الثالثة عشرة، العراق، أيّار١٩٨٨، ص١٤٥.

(٣) للتفاصيل حول الرحلة، يُنظر: ليونهارت رأوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين سنة ١٥٧٣، ترجمة سليم طه التكريتيّ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.

في العراق، والتحقيق في فوائدها الغذائيّة والطبّيّة[١]، وأيضًا من الدوافع الأُخرى التي اتّخذت سمة علميّة هي التنقيبات الأثريّة، إذ امتاز العراق بقاعدة حضاريّة واسعة بين الأمم؛ لكونه موطن الحضارات السومريّة والأكديّة والبابليّة والآشوريّة، ثمّ أصبح مركزًا للحضارة العربيّة الإسلاميّة لقرون طويلة، ومن تلك الرحلات رحلة ريج (Rich) عام ١٨٢٠، الذي كانت مجموعته الآثاريّة ودراساته التي خرج بها من زياراته وتنقيباته للعديد من المناطق الآثاريّة مصدرا مهمًّا للآثاريّين، وجلبت انتباه الأوربّيّين إلى الآثار الآشوريّة[٢]. وبهذا حاز العراق اهتمام الرحّالة الأوربّيّين بشكل عامّ؛ لما يتمتّع به من موقع جغرافيّ مهمّ، فضلًا عن امتلاكه حضارة عريقة مثّلت جميع العصور.

ولم تقتصر غايات الرحّالة بهذه الدوافع فقط، بل شملت أيضًا دوافع ذاتيّة تمثّلت بحبّ المغامرة والاستكشاف والاستطلاع والاستمتاع، ومنها رحلة الرحّالة الفرنسيّ ج. و. ثيفنو (J.De Thevnot) الذي زار العراق عام ١٦٨٣، وكان عاشقًا للشرق، وراغبًا في اكتشاف أسراره، فأخذ يتجوّل في مناطق الشرق الأوسط، وانطلق إلى فلسطين ومصر وإيران والهند[٣].

وممّا تقدّم نلاحظ اختلاف الأهداف والدوافع[٤] التي حفّزت الرحّالة

---

(١) عادل محمّد عليّ الشيخ حسين، المصدر السابق، ص٩٧.

(٢) للتفاصيل حول الرحلة، يُنظر: كلوديوس جيمس ريج، رحلة ريج في العراق، ترجمة: بهاء الدين نوري، ج٢، ط١، بيروت، ٢٠٠٣.

(٣) للمزيد من المعلومات حول الرحلة، يُنظر: بطرس حدّاد، مقتطفات من رحلة ثيفنو إلى العراق في القرن السابع عشر، مجلّة بين النهرين، السنة الثانية، العدد ٨، الموصل، ١٩٧٤، ص٢٨٧ - ٢٩١.

(٤) للاطّلاع حول دوافع الرحلات، يُنظر: حيدر جاسم الرويعيّ، أهداف الرحّالة الأوربّيّين وتوجّهاتهم إلى العراق، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، مج ١٥، العدد، ٢، القادسيّة، ٢٠١٢، ص١٣٧ - ١٥٩.

على القيام برحلاتهم، فمنها ما يخصّ الجوانب السياسيّة والاقتصاديّة والدينيّة والعلميّة، فضلًا عن حبّ الاستكشاف والمغامرة، إذ يبيّن لنا مدى ارتباط هذه الدوافع بالتطور الحاصل في أوربّا المتمّثل بعصر النهضة الأوربّيّة في القرن السادس عشر، كما كان العراق لموقعه الجغرافيّ وما اشتُهر به من الحضارات سواء أكانت في العصور القديمة أم الإسلاميّة، محطّ أنظار الرحّالة الأوربّيّين بشكل خاصّ.

ومع أنّ رحّالتنا ديللافاليه[1] كان ذا توجّهات علميّة بكلّ معنى الكلمة، فقد أراد الاطّلاع على الآثار الشرقيّة والتعرّف على لغتها وكتبها النادرة، إلّا أنّه وضع في حسابه التعرّف على بعض الشخصيّات الحاكمة في الشرق[2]، وبالذات الشاه

(١) ديللافاليه: وُلد بيترو ديللافاليه في ١١ نيسان عام ١٥٨٦ من أُسرة رومانيّة عريقة، شُغف منذ نعومة أظفاره على اكتساب العلوم المختلفة، وأحبّ فتاة في بداية حياته، لكنّها لم تبادله المشاعر، فأُصيب بخيبة أمل هزّت كيانه وجرحت كرامته، فقرّر الهرب من مجتمعه والابتعاد عن وطنه، إذ قرّر الرحيل إلى الشرق؛ للاطّلاع وتسجيل المعلومات، فوصل إسطنبول أوّلًا، ثمّ غادرها إلى مصر، وبعدها إلى بيت المقدس، ثمّ ارتحل إلى حلب، وهناك التقى بشخص حدّثه عن فتاة بغداديّة فاتنة في الجمال، فقرّر الذهاب إلى بغداد التي وصلها عام ١٦١٦ وخلال وجوده في بغداد تزوّج تلك الفتاة المسيحيّة التي اسمها معاني بنت حبيب جان جويريدة، وسافرت معه إلى إيران، لكنّها توّفيت بعد إصابتها بمرض الملاريا، فقرّر حملها معه ودفنها في روما، إذ قام بتحنيطها واستمرّت رحلة عودته أربع سنوات وهو يحمل جنازة زوجته معه إلى ان وصل إلى بلاده ودفنها بمقبرة أجداده، وكان خلال تلك الرحلة الطويلة يعطي وصفًا دقيقًا ومسهبًا عن المناطق التي يمرّ بها وألّف مؤلفات عدّة، منها الحفلة التأبينيّة للست معاني، ومعلومات عن بلاد جورجيا، وأحوال الشاه عبّاس الفارسيّ، ورحلة إلى الشرق، وغيرها من المؤلّفات، تُوفّي في ٢١ نيسان عام ١٦٥٢ في روما. يُنظر: ديللافاليه، المصدر السابق، ص٧ - ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٨.

عبّاس الأوّل[1]. وبهذا جمعت رحلة الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه بين المغامرة والاستكشاف العلميّ لمناطق عديدة من الشرق ومنها العراق.

زار ديللافاليه العراق وحاز على اهتماماته بشكل كبير، إذ عمد إلى وصف المدن العراقيّة في مشاهداته ومن المناطق التي نالت اهتمامه هي المنتفق.

(١) الشاه عبّاس الأوّل: شاه إيران الملقّب بالكبير، تسلّم السلطة بعد أبيه الشاه محمّد خدابندة عام ١٥٨٨، عُني بالتنظيمات العسكريّة وقمع الثوّار والعصاة داخل مملكته، نقل عاصمته من قزوين إلى أصفهان، استولى على بغداد في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٦٢٣ وعلى الحلّة العام نفسه، تُوفّي عام ١٦٢٩. للتفاصيل، يُنظر: بديع محمّد جمعة، الشاه عبّاس الكبير ١٥٨٧ – ١٦٢٩، بيروت، المطبعة العصريّة، ١٩٨٠.

المبحث الثاني

نشأة اتّحاد قبائل المنتفق

تشكّل تحالف قبليّ في جنوب العراق بزعامة الشريف حسن بن مانع آل سعدون من ذرّيّة الإمام الحسن عليه السلام، عُرف بـ (إمارة المنتفق)، أو (اتّحاد المنتفق)، وكان ذلك في القرن السادس عشر الميلاديّ، وبالتحديد عام ١٥٤٦، بعد مغادرة الشريف حسن بن مانع بن مالك بن سعدون مكّة المكرّمة عام ١٥٠٠[١]، على إثر حدوث نزاع وتنافر بينه وبين إخوته مهنّا وبركات ومسرور[٢]، ونتيجة لذلك اتّجه الشريف حسن إلى جنوب العراق، واختار الإقامة عند قبيلة بني مالك[٣]، التي كانت ذات نفوذ واسع وهيمنة واضحة على المنطقة، رحّب

(١) يعود السبب إلى الاختلاف بين الشريف حسن وإخوته إلى أنّ الشريف حسن له ابنة تُسمّى نورة، وفي السنة المذكورة أعلاه خطب مسرور ابنة الشريف حسن نورة لولده عوف، غير أنّ الشريف حسن لم يشأ تزويج مدلّلته من ابن عمّها؛ لأنّ أولاد أخيه كانوا أولاد أمه. للتفاصيل، يُنظر: جعفر الخيّاط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج ١، بغداد، ١٩٧١، ص ٣١.

(٢) ممّا أدّى ذلك إلى انفراط عقدهم وتفريق شملهم، فهاجر بعدها مهنّا إلى تونس، ونزح بركات إلى بلاد فارس، وبقي مسرور في مكّة، وتوجّه الشريف حسن إلى جنوب العراق. أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجّاميّ، سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفق ١٧٦١ - ١٨٦٩ دراسة في أوضاعها السياسيّة والاقتصاديّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٠، ص٧.

(٣) (بني مالك): مجموعة عشائر في لواء المنتفق، لها فروع في البصرة وفي لواء الديوانيّة ولواء الحلّة وفي الحويزة، ورئاسة بني مالك في آل خصيفة، ثمّ صارت لآل ارخيّص. يُنظر: عبّاس =

شيخ بني مالك شيحان آل خصيفة بالشريف حسن، وأسكنه إلى جانب داره[١]. ولعلّ السبب من اختيار الشريف حسن لهذه القبيلة يرجع لما امتازت به من بين القبائل في جنوب العراق من القوة والهيبة.

وتزوّج الشريف حسن من طليعة بنت عبد الله آل خالد، الذي انتقلت إليه زعامة القبيلة بعد وفاة الشيخ شيحان آل خصيفة، وأنجبت منه ثلاثة أولاد (محمّد وعبد الله وشبيب)[٢]، ونتيجة لارتباطه بالقبيلة واستقراره فيها، أدّى هذا الأمر إلى مشاركته في العديد من معاركها، ومنها معركة حدثت عام ١٥٣٠ بين قبيلتي بني مالك والأجود[٣]، وانتهت المعركة بهزيمة بني مالك الذين تكبّدوا خسائر كبيره بالأرواح والأموال، وكان عبد الله ابن الشريف حسن من ضحايا هذه المعركة[٤].

= العزّاويّ، عشائر العراق، ج٤، مكتبة الصفا والمروة . لندن، د. ت، ص٣٠ – ٣١.

(١) حسن عليّ خلف، المفصّل في تاريخ مدينة الناصريّة دراسة تاريخيّة وسياسيّة، ج١، دار المرتضى للطباعة والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٥، ص١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٦ – ١٢٧؛ أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجّاميّ، المصدر السابق، ص٧.

(٣) الأجود: هي من القبائل العراقيّة التي تنتشر على نهر الفرات بين السماوة والعرجاء، وهم شبة مزارعين، قليلو الاستقرار، يميلون في طريقة عيشهم إلى البداوة، ويهتمّون بتربية الماشية، ويتّخذونها مهنة رئيسة لهم تاركين وراءهم بعض الأفراد في قراهم؛ لكي لا تبقى شاغرة. للتفاصيل، يُنظر: عبد العال وحيد العيساويّ، لواء المنتفق في سنوات الاحتلال البريطانيّ ١٩١٤ – ١٩٢١ دراسة في أحواله الإداريّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، النجف الأشرف، ٢٠٠٨، ص ١٠.

(٤) أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجّاميّ، المصدر السابق، ص٨؛ حسن عليّ خلف، المصدر السابق، ص١٢٧.

ونتيجة لذلك أجبروا الشريف حسن وبني مالك على الجلاء من مناطقهم والنزوح إلى نجد[١]، وبما أنّ الأراضي النجديّة عبارة عن صحارى لا زرع فيها ولا خصب، وسكّانها معظمهم من الأعراب الصعاليك فإنّ هذه الديار التي نزحوا إليها لم ترق لهم، ومع ذلك فإنّهم تحمّلوا شظف العيش فيها مكرهين[٢].

بعد أن استجمع بنو مالك قوّتهم، وأصبحت كافية، إذ جمعوا حولهم بعض الفروع من قبيلة عتيبة ذات النفوذ الواسع في نجد، ولذا قرّروا عدم البقاء في هذا المكان والرجوع إلى ديارهم ومباغتة الأجود على حين غفلة منهم، وبعد ما أكملوا استعدادهم سافروا نحو ديار الأجود التي كانت مطمئنّة ومتفرّقة، ولم يخطر ببال أحدهم عودة بني مالك أو قدرتهم على مهاجمتهم، فما رأوا إلّا وبني مالك تطوّقهم من جميع الجهات، وتقع بهم فتكًا وقتلًا، وأنّ القلّة الذين نجوا من الموت قد اتّخذوا من الأحواز[٣] ملجأً لهم، وعندما شعرت الأجود

(١) تعني كلمة نجد قفاف الأرض وصلابتها، وأُطلقت تسمية نجد على المكان المرتفع الذي يحتلّ القسم الأوسط من شبة جزيرة العرب ويحدّها من الشمال جبل شمر، ومن الجنوب الربع الخالي، والحجاز من الغرب، والدهناء والأحساء من الشرق. للتفاصيل يُنظر: محمّد شكري الآلوسيّ، تاريخ نجد، تحقيق: محمّد بهجت الأثريّ، القاهرة، ١٩٢٩، ص٧؛ حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦١، ص٢٤.

(٢) سليمان فائق، تاريخ بغداد، تعريب: موسى كاظم نورس، بغداد، ١٩٦٢، ص١٥٨.

(٣) الأحواز: جمع كلمة حوز، وأصلها حاز بمعنى: الحيازة أو التملّك، وكان العرب يستعملون هذا اللفظ دلالة على تملّك الأرض من دون سواها، ويشيرون بها إلى الأرض التي اتخذها فرد، وبيّن حدودها، فاستحقها من دون منازع، وخضع هذا الإقليم إلى دولة المشعشعين العربيّة (إمارة الحويزة) التي استمرّ حكمها زهاء ثلاثمائة سنة (١٤٥٤ - ١٧٢٤م) عندما استطاع بنو كعب مدّ نفوذهم إلى هذا الإقليم. يُنظر: إبراهيم خلف العبيديّ، الأحواز أرض عربيّة سليبة، ١٩٨٠، ص٧ - ٢٠.

بضعفها أمام بني مالك وعدم قدرتها على مقاومتهم عرضت الصلح عليهم، ونسيان ما حدث، والاتّفاق على التآلف والترابط فيما بينهم، وانتخاب شيخ مشترك واحد، ولذا وقع اختيارهم على الشريف حسن؛ إرضاءً له بسبب قتل ابنه عبد الله في المعركة[1]. ويُعدّ هذا الاتّحاد بين قبيلتي بني مالك والأجود البذرة الأولى لاتّحاد قبائل المنتفق.

ويعود سبب اختيارهم للشريف حسن لأنّه ليس من قبيلة بني مالك ولا من الأجود، وأنّ انتخاب شيخ من بني مالك أو من الأجود قد يجعله ينحاز إلى قبيلته أو أقربائه، ولهذا وقع اختيارهم على الشريف حسن، ولا أظنّ أنّ ترضية الشريف حسن تستوجب منهم التنازل عن قيادة عشائرهم له بسبب فقده لولده في معركة قتاليّة؛ لأنّ ذلك طبيعيّ ومتوقّع على كلّ من يدخل إلى أيّ معركة[2]. ويمكننا القول: ان من الأسباب التي أدّت إلى اختياره هو بسبب انتسابه إلى الأُسرة الهاشميّة التي يرجع نسبها إلى الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وفي عام ١٥٣٥ تُوفّي الشريف حسن، وتولّى ابنه محمّد زعامة اتّحاد قبائل المنتفق، وهو لم يختلف عن أبيه في نشر السلام بين الجميع، وبعد أنّ أصبح بني مالك والأجود ينضوون تحت قيادة واحدة، وينعمون بكرم الشريف محمّد وحكمته جذب هذا الاتّحاد طرفًا ثالثًا وهي قبيلة بني سعيد[3] في

(١) أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجّاميّ، المصدر السابق، ص٨ – ٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩.

(٣) بني سعيد: تتمركز قبيلة بني سعيد بين دجلة والفرات، وتمتد من منطقة (الحيّ حاليًا) إلى هور الحمّار، وعلى الرغم من أنّ لهم بعض الأملاك الزراعيّة في مواقع صغيرة متفرّقة إلّا أنّهم كانوا أقرب إلى البداوة في طريقة معيشتهم. يُنظر: خورشيد أفندي، سياحتنامه =

عام ١٥٤٥[١] وبعد سقوط قبيلة المنتفق[٢] التي كان يتزعّمها آل راشد نتيجة للحملة العسكريّة التي سيّرتها الحكومة العثمانيّة بقيادة والي بغداد إياس باشا (١٥٤٥ - ١٥٤٧) عام ١٥٤٦، وأسفرت عن انكسار الأمير راشد بن مغامس وفراره إلى نجد، فقام محمّد بن الشريف حسن بتسديد ما بذمّته من الضرائب المستحقّة عليه إبراءً لذمّته، وبهذا أُعجب به الحاكم الجديد إياس باشا، وأقرّه زعيمًا على اتّحاد المنتفق (المكوّن من بني مالك والأجود وبني سعيد)[٣]، وبذلك يُعدّ عام ١٥٤٦ بداية تأسيس اتّحاد قبائل المنتفق بصورة رسميّة في منطقة جنوب العراق.

= حدود، تعريب: نوري عبد البخيت السامرائيّ، البصرة، ١٩٨٠، ص٥٣، عبد العال وحيد العيساويّ، المصدر السابق، ص١٠.

(١) أحمد حاشوش عليوي، المصدر السابق، ص١٠.

(٢) قبيلة المنتفق: اسم قبيلة مشهورة منسوبة إلى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فبُنات المنتفق هم بطن من عامر بن صعصعة، اشتهروا باسم أبيهم، فقيل لهم: المنتفق. يُنظر: محمّد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانيّة في تأريخ الجزيرة العربيّة،ج١٠، ط٢، القاهرة، ١٣٤٤هـ، ص٤٢؛ عبد الباسط عبد الرزّاق حسين وعليّ نايف مجيد، بنو المنتفق ودورهم في الحياة العامّة في العصور الإسلاميّة حتّى نهاية العصر الأُمويّ ١٣٢هـ،٧٤٩م، مجلّة ديإلى، العدد ٦١، ٢٠١٤.

(٣) حسن عليّ خلف، المصدر السابق، ص١٢٩.

المبحث الثالث

المنتفق في رحلة ديللافاليه

هيمن اتّحاد قبائل المنتفق على مناطق واسعة في جنوب العراق، تمتدّ على ضفّتي نهر الفرات من مدينة السَّماوة[١] إلى منطقة القرنة[٢]، وتشمل أيضًا الضفّة اليمنى لنهر دجلة من منطقة العُزير[٣] إلى القرنة، كما امتاز سكانها

---

(١) السَّماوة: تقع على نهر الفرات بين لملوم والعرجاء، أُسّست عام ١٤٩٤، واتّخذها العثمانيّون عام ١٥٣٤ مركزًا لأحد ألوية بغداد وقاعدة لقوّاتهم العسكريّة، وازدهرت عام ١٧٠٠ بعد ان تحوّل إليها مجرى نهر الفرات، ونزحت إليها جماعات كثيرة من القرى المجاورة إليها، وأصبحت محطّة للقوافل التجاريّة على نهر الفرات. وفي عام ١٨٥٣ غدت السَّماوة قائم مقاميّة ملحقة بلواء الحلّة. للتفاصيل، يُنظر: عليّ إبراهيم محمّد مصطفى، السَّماوة ١٩٢١ – ١٩٤٥ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٠.

(٢) القرنة: تقع شمال مدينة البصرة، وتبعد عنها (٧٠) كم، وتمثل (٦٠٪) من مجموع مساحة المحافظة، تبلغ مساحتها ١١١٢ كم٢، نشأت في القرن الثامن للميلاد كحصن ضدّ الفرس، وبنى فيها عليّ آل أفراسياب قلعة حملت اسمه، جاء اسمها من التقاء نهري دجلة بالفرات. يُنظر: مؤيّد سعيد بسيم وآخرون، الدليل الإداريّ للجمهوريّة العراقيّة، ج٢، الدار العربيّة، بغداد، ١٩٩٠، ص٣٥٤ – ٣٥٧.

(٣) العُزير: نسبة إلى مقام النبيّ عزرا الذي يقع على الجهة اليسرى لنهر دجلة ما بين منطقة القرنة والعمارة. يُنظر: صلاح الدين محسن زاير، تخطيط وعمارة مرقد نبيّ الله العزير عليه السلام، مجلّة دراسات في التاريخ والآثار، العدد٥٩، جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص٦٨٠ – ٧١٣.

بأنّهم قليلو الاستقرار، ويميلون في طريقة معيشتهم إلى البداوة[١]. ونتيجة لهذا الموقع الجغرافيّ جعل من اتّحاد قبائل المنتفق منطقة الوسط التي تربط بين بغداد والبصرة، وإحدى أهمّ الطرق التجاريّة النهرية والبرّيّة، ممّا جعل منها منطقة مرور لكثير من الرحّالة الأوربّيّين.

وكان من بين الرحّالة الذين مرّوا بأراضي المنتفق هو الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه، ولعلّ السبب من مروره بهذا المنطقة هو الوصول إلى بغداد، إذ إنّه أعطى في رحلته هذه انطباعاته وتصوّراته حول المنطقة من خلال وصف للأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

وعمومًا فإنّ الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه لم يذكر اسم المنتفق في رحلته على الرغم من أنّه مرّ بأراضيها، ولعلّ السبب يعود إلى حداثة إنشاء اتّحاد قبائل المنتفق الذي أُسّس في عام ١٥٤٦، ودخول الرحّالة للمنطقة كان في عام ١٦٢٥، أي كان عمر الاتّحاد ما يقارب (٧٩) عامًا، فضلًا عن جهل الرحّالة بتاريخ المنطقة وأوضاعها السياسيّة، واقتصرت رحلته على مشاهدة ووضع تصوّر عن منطقة أو قرية من دون التطرّق أو محاولة البحث عن تاريخها.

في ٢٣ أيّار ١٦٢٥[٢] وصل الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه إلى قرية كويبدة[٣]

---

(١) عبد العال وحيد العيساويّ، المصدر السابق، ص١٣.

(٢) للمزيد من التفاصيل حول المدّة التي بقي فيها الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه في البصرة، يُنظر: فاطمة فالح جاسم وفاطمة عبد الجليل ياسر، المصدر السابق، ص٢١٦ – ٢٥١.

(٣) كويبدة: هي أحدى القرى التابعة لإمارة المنتفق آنذاك، وتقع في الصحراء الغربيّة للبصرة شمال الزبير، وكانت مقرّ أحد شيوخ المنتفق وهو الشيخ عبد الله بن مانع، إلّا أنّها دُمّرت وأُحرقت على يد جيش عليّ باشا أفراسياب والي البصرة، وذاك في أواخر عام ١٠٣٤هـ، ١٦٢٥م. حسين عليّ عبيد المصطفى، لواء المنتفق في الوثائق =

التي تبعد ستّة فراسخ من المشراق[1]، وذكرها بقوله: «يعتبرها الأعراب قلعة، وكان شيخها يجمع الإتاوة من القوافل العابرة واسمه الشيخ عبد الله، وتوقّفنا خارج هذه القرية»[2]. لم يعطِ ديللافاليه أيّ وصف عن كويبدة، بل اقتصر على تسميتها بالقرية، فضلًا عمّا وصفه الأعراب بأنّها قلعة، ويبدو أنّ ديللافاليه لم يبدِ أيّ اهتمام حولها؛ ولعلّ ذلك لتشابها مع المناطق المجاورة، أو أنّها بعيدة عن تسميتها بالقلعة.

إلّا أنّ ما لفت اهتمام ديللافاليه حول هذه المنطقة هو كثرة الضرائب (الإتاوة) المفروضة على المسافرين والقوافل التجاريّة، فقال: «والجدير بالذكر أنّنا دفعنا الضرائب في الطريق الصحراويّ أربع مرّات، ولا أعلم أكان دليلنا يخدعنا أم هذه هي العادة الجارية»[3]. ويُلاحظ هنا أنّ الرحّالة ديللافاليه أبدى استغرابه من كثرة الضرائب (الإتاوة) المفروضة على المسافرين والقوافل التجاريّة، إذ ذكر أنّه خلال ستّة فراسخ من المشراق إلى كويبدة دفع أربع مرّات ضرائب، في المقابل أبدى شكوكه حول أمانة الدليل الذي اعتقد أنّه يخدعه ويستغلّه في هذا الجانب.

والجدير بالذكر أنّ الضرائب كانت تُؤخذ من المسافرين والقوافل التجاريّة

= العثمانيّة سالنامات البصرة أُنموذجًا ١٨٩٠ – ١٩٠٠، مجلّة أوروك للعلوم الإنسانيّة، المجلّد ٨، العدد١/ ج٢، جامعة المثنّى، ٢٠١٥، ص٢١؛

(١) المشراق: هي إحدى المحلّات القديمة التابعة لمدينة البصرة، وتوجد أيضًا تسميات مشابهة في الموصل والنجف الأشرف. يُنظر: صلاح الدين عبد الغنيّ، مدن لها تاريخ، ج٢، الجيزة، ٢٠١٦، ص٢٩.

(٢) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٣) مقتبس من: المصدر نفسه، ص١٣٦.

دلالـة على أنّ منطقـة المـرور تقـع ضمـن نفـوذ لشـخص مـا، أو لتـأمين المناطـق مـن أخطـار قطّـاع الطـرق، لـذا ليـس مـن السـهولة عبـور مناطـق نفوذهـا مـن دون أن يدفـع المسـافرون والتجّـار مبالـغ معيّنـة، أمّـا أن تكـون نقديّـة أو عينيّـة، يتـمّ استيفاؤها بواسطة وكلاء عـن شيوخ العشـائر ويسلّمونها لهـم[1]، فالقوافـل التجاريّـة التـي سـلكت الطـرق البرّيّـة الممتـدّة عبر أراضيهـا تدفـع لهـم رسـومًا ضريبيّة، كما أنّ السـفن عبر نهـر الفـرات بين بغـداد والبصرة لا تمـرّ مـن دون دفعها المطلـوب منهـا[2]. وبهـذا يمكننـا تشـبيه تصرّف شـيوخ العشـائر المتمّثـل بأخـذ الضرائـب بـإدارة كمركيّـة، يتـمّ مـن خلالها جمع الضرائـب مـن القوافـل التجاريّـة سـواء في الطـرق النهريّـة أو البرّيّـة.

وبذلـك فقـد أعطـى الرحّالـة ديللافاليـه وصفًـا جيّـدًا للضرائـب المفروضـة في تلـك المنطقـة، وحدّدهـا[3]:

الضريبـة الأولى: تُدفـع لصاحـب كويبـدة الشـيخ عبـد الله، وبلغـت خمسـة قـروش[4] عـن حمـل الجمـل الواحـد، إلّا أنّهـا تختلـف مـن بضاعـة لأُخـرى،

(١) عبد الله الفيّاض، الثورة العراقيّة الكبرى عام ١٩٢٠، ط٢، بغداد، ١٩٧٥، ص١٨.

(٢) مؤيّـد أحمـد خلـف الفهـد، السياسـة العثمانيّـة تجـاه العشـائر العراقيّـة (١٧٥٠ - ١٨٦٩)، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، كلّيـة الآداب، جامعـة البصرة، ٢٠٠٢، ص١٩.

(٣) ديللافاليه، المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٤) القـرش: عملـة عثمانيّـة فضّيّـة، ويسـمّيها الرحّالـة الأوربيّـون بياستر (Piaster)، ضُربـت في الأصـل في عهـد السـلطان سـليمان الثـاني (١٦٨٧ - ١٦٩١) بـوزن (٦) دراهـم وفي عهـد السـلطان أحمـد الثالـث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) وُزنـت بـ (١٨) درهمًـا عيـار (٦٠,٠)، ثـمّ طـرأ عليهـا انخفـاض مسـتمرّ في عهـد السـلطان مصطفـى الثالـث (١٧٥٧ - ١٧٧٣) وُزنـت بـ (٦,٢٥) دراهـم. للتفاصيـل، يُنظـر: عبّـاس العـزّاويّ، تاريـخ النقـود العراقيّـة، بغـداد، ١٩٥٨، ص١٤٦ - ١٤٨.

وتُقارن البضائع بحسب أهمّيّتها من خلال مقارنتها مع الأقمشة الهنديّة، إذ كانت بضائع مهمّة، أمّا اذ كانت أقل من ذلك فتُقارن مع التبغ.

الضريبة الثانية: كانت تُدفع - كما وصف ديللافاليه - لأحد شيوخ القبائل العربيّة في البادية اسمه ابن خالد، إلّا أنّ استيفاءه للضريبة أقل من الشيخ عبد الله، إذ يأخذ عن حمل الجمل الواحد خمسة لاريّات[1]، وهي تساوي نحو قرش[2] واحد، وكما يأخذ شاهيّة[3] للبضائع قليلة لأهمّيّة.

الضريبة الثالثة: تُدفع إلى شيخ عربيّ ثالث يُلقّب بالأعور، وكان يستوفي عن كلّ حمل من الجمال مهما كانت حمولته ستّ شاهيّات.

الضريبة الرابعة: كانت تُدفع إلى شيخ آخر هو ابن عمّ الأعور. ومن الملاحظ أنّ الضرائب تختلف من شيخ إلى آخر، ولعلّ سبب في ذلك هو مكانته الاجتماعيّة والسياسيّة في المنطقة.

---

(١) لاريّات: وهي عملة مسكوكة من الفضّة، واسمها بالانجليزيّة (Larins)؛ نسبة إلى منشأها في (لار) بسواحل فارس، ثمّ سكّها العثمانيّون، وشاعت في بلدان ساحليّة كثيرة منها البصرة. يُنظر: عاطف منصور رمضان، مسكوكة اللاريّين المتداولة في الخليج العربي (١٠ - ١٣هـ/١٦ - ١٩م)، مجلّة مركز المسكوكات الإسلاميّة، العدد ٣، كلّيّة الآثار -جامعة الفيوم، مصر، ٢٠٢٠.

(٢) مع العلم أنّ القرش في البصرة آنذاك يساوي ثماني شاهيّات وثلثا، بينما في البادية يساوي ثماني شاهيّات فقط. ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٣) الشاهيّة: نوع من العملات الإيرانيّة الفضّيّة، وهو يُنتسب إلى السلطان الباد شاه، الذي كان مسكوكًا في البلاد العثمانيّة، اختلفت قيمته باختلاف الزمن والبلاد. يُنظر: عبّاس إسماعيل صبّاغ، تاريخ العلاقات العثمانيّة - الإيرانيّة الحرب والسلام بين العثمانيّين والصفويّين، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩، ص٩٦.

وأوضح ديللافاليه آليّة الدفع فهي تكون عن طريق وكلاء هؤلاء الشيوخ الموجودين في كويبدة، وفي المقابل ذكر ديللافاليه أنّه بعد دفع تلك الضرائب يُستلم كتاب يثبت دفعه لتلك الضرائب، بقوله: «أمّا الإتاوات الأُخرى فقد دفعتها إلى وكلاء الشيوخ المذكورين أعلاه المجتمعين في كويبدة، فأعطونا كتبًا تثبت استلامهم المبالغ المقرّرة، لئلّا يطالبنا بها أتباعهم في الطريق»[١].

ذكر ديللافاليه أنّه لاقى اهتمامًا من الشيخ عبدالله؛ نتيجة لتوصية كلّ من باشا[٢] البصرة – وهو عليّ باشا أفراسياب – والمعتمد البرتغاليّ[٣]، ورفض أخذ الضريبة منه إلّا أنّه عدل عن رأيه وأخذها منه فيما بعد، بقوله: «إنّ شيخ كويبدة عبد الله أبى أن يأخذ الإتاوة منّي؛ لأنّي حملت إليه رسالتين، واحدة من باشا البصرة والأُخرى من المعتمد البرتغاليّ فهو صديقه، وكلاهما أثنيا عليّ وأوصيا بي خيرًا، غيّر شيخ كويبدة رأيه فطلب منّي الإتاوة بالرغم من امتناعه السابق عن أخذها، لا بل استوفى عشرة قروش عن الصندوقين[٤]، وهو أعلى مبلغ يؤخذ عن حمل»[٥].

ومن الملاحظ أنّ ديللافاليه أقام خارج كويبدة ما يقارب (١٤) يومًا، ويعود

(١) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) باشا: كلمة فارسيّة استُعملت في الدولة العثمانيّة لقبًا رسميًّا إذ كان يُعطى لحكّام الولايات والوزراء المقيمين في إسطنبول. يُنظر: عبّاس إسماعيل صبّاغ، المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٣) هو دون كونسالفو دي سلفيرا القائد العامّ للقوّات البرتغاليّة العاملة ومعتمدهم في البصرة. ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٢٦.

(٤) هما صندوقان اشتراهما الرحّالة ديللافاليه عندما كان في حلب؛ لوضع أمتعته فيهما؛ لتسهل عمليّة حملهما في السفر. يُنظر المصدر نفسه، ص٢١.

(٥) مقتبس من: المصدر نفسه، ص١٣٧.

السبب في ذلك هو أنّ باشا البصرة طلب منه اصطحاب القبوجيّ[١] معه، ممّا أدى إلى ذهاب رئيس الجمّالين إلى البصرة لاصطحابه، وكان ذلك في ٢٥ أيّار ١٦٢٥، إلّا أنّه لم يعد إلّا في يوم ٣ حزيران، ويعتقد ديللافاليه أنّ سبب تأخير القبوجيّ هو «أنّه كان ينتظر بزوغ القمر الجديد، فعادة القوم أنّهم يفضّلون الرحيل مع القمر الجديد»[٢].

خرج ديللافاليه من كويبدة في (٥) حزيران، ووصل عند الظهيرة إلى آبار يطلقون عليها الغنيمات، ووصف سكّانها «أنّهم من البدو[٣] نازلين في تلك الديار، لقد خفت في بادئ الأمر من هؤلاء الرجال، ولكن عندما اقتربنا منهم رأيناهم مساكين مسالمين، فانزلنا الرحال واسترحنا»[٤]. ويبدو من وصف ديللافاليه لسكّان البدو هو أنّه لاحظ مدى اختلاف ما بين سكّان الحاضرة عن سكّان البادية في التعامل، كما أنّه في بادئ الأمر خشي أن

(١) القبوجيّ: كلمة تركيّة تعني البوّاب، وتُطلق على حاجب السلطان أو رسوله في مهمّة خاصّة. يُنظر: عبّاس إسماعيل صبّاغ، المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٢) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٣) البدو: يمتاز رجل الصحراء أو البدويّ بظاهرة التنقّل والترحال من مكان إلى آخر؛ طلبًا للماء والكلأ، وتشكّل الجمال عندهم أهمّيّة خاصّة؛ لأنّها تتحمّل مشاقّ الصحراء ووعورة الأرض، ويمتلك البدو بعض الأراضي وبساتين النخيل على نهر الفرات، ولكنّهم لا يزرعونها بأنفسهم، بل يعطونها للفلّاحين الذين يجمعون لهم التمر لقاء أُجور معينة، ويسكن هؤلاء البدو في بيوت الشعر، ليسهل تقويضها ونقلها معهم أينما ذهبوا، وينقسم عادة بيت الشعر إلى شقّين: الأوّل للرجال، والثاني للنساء، ويُعدّ الخبز والتمر واللبن غذاءهم الرئيس، إضافة إلى بعض الحيوانات وطيور البرّ. يُنظر: أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجّاميّ، المصدر السابق، ص١٥٦.

(٤) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٧.

يكونوا من قطّاع الطرق.

وتحدّث ديللافاليه عن قطّاع الطرق في هذه المنطقة، إذ ذكر « بلغنا هناك أنّ قبضة من قطّاع الطرق قد أعدّوا العّدة لمهاجمتنا، وقد سبقونا في البادية، فللتأكّد من هذا الخبر عاد رئيس الجمّالين إلى كويبدة، ليستطلع الأمر، فهناك تتجمّع عادة عيون العشائر، وفي الليل رجع إلينا مؤكّدًا صحّة الخبر، ونصحنا بالعودة إلى القرية، ولا أعلم مدى أمانة الرجل في كلامه، فعدنا في اليوم التالي[1]، ونزلنا في العراء خارج القرية، ثمّ دُعينا للدخول إليها لنكون في مأمن من اللصوص، ونضيّع آثارنا على جواسيسهم، وكأنّنا غيّرنا خطّتنا وعدلنا عن السفر»[2].

وتطرّق ديللافاليه إلى التحدّث عن مهمّة القبوجيّ الذي كان اسمه سرفانلي إبراهيم آغا[3] وهي إرسال هدية من السردار[4] إلى

(١) يوم ٦ حزيران.

(٢) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٧ – ١٣٩.

(٣) الآغا: كلمة تركيّة يُقصد بها السيّد أو الموظّف من الدرجة الوسطى، يكون عسكريًّا أو مدنيًّا. يُنظر: ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٤٢٣.

(٤) السردار: لفظ فارسيّ مركّب من مقطعين أو كلمتين: الأولى (سر) معناها: رأس، والثانية (دار) معناها: صاحب، فيكون اللقب بمعنى صاحب أو قائد الجيش أو كبير الجيش أو نائب الملك، ودخلت الكلمة في العصر الأيّوبيّ والمملوكيّ بنفس اللفظ والمعنى ليدلّ على مرتبة عسكريّة تعادل في يومنا هذا رئيس أركان الجيش. يُنظر: إبراهيم محمّد ساجت، ثورة آل طويل في بغداد (١٦٠٣ – ١٦٠٨)، مجلّة الكلّيّة الإسلاميّة الجامعة، مج٢، العدد٤١، النجف الأشرف، ٢٠١٦، ص٥٣٣؛ محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانيّة، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان ١٧، ١٨، سورية، كانون الثاني –حزيران ٢٠١٢، ص٣٧٤.

والي البصرة بقوله: «جدير بالذكر أنّ القبوجيّ الأوّل، ذاك الذي حمل الخلعة[1] من السردار إلى والي البصرة اسمه سرفانلي إبراهيم آغا، وقد رافقه قبوجيّ آخر اسمه محمّد آغا كان في خدمة السردار السابق، وقد أرسله في مهمّات عديدة منها إلى البصرة ثمّ الأحساء والمناطق المجاورة، وها هو الان في طريق عودته»[2].

وحصل نقاش حادّ بين ديللافاليه ورئيس الجمّالين الذي عُرف باسم أحمد حول اصطحاب بعض الأعراب معهم في السفر، وكان ردّ فعل ديللافاليه رافضًا لهذه الفكرة، على اعتبار أنّ الطريق معروف إلى بغداد، وليس لهم القدرة في قتال قطّاع الطرق، فضلًا عن رغبة رئيس الجمّالين في أخذ المزيد من الأموال منهم بقوله: «في (١٣) حزيران نشب نقاش حادّ مع رئيس الجمّالين، فقد أراد اصطحاب بعض الأعراب بحجّة إرشادنا في الطريق، لكنّه في الواقع كان يريد استنزاف المزيد من أموالنا فعارضته بشدّة، لأنّ الطريق معروف، أمّا قوله: إنّهم سيساعدوننا على قطّاع الطرق فكلامه هراء، إذ لم يكن لهؤلاء الرجال القدرة على القتال والمقاومة، فطال النقاش حتّى هدّدته بالعودة إلى البصرة والعدول عن السفر، وهذا يعني بالنسبة إليه إعادة المال الذي استلمه منّي،

---

(١) الخلعة: أو التشريفة أو رداء الشرف هو مصطلح يشير إلى ملابس الشرفيّة التي قدّمها حكام المسلمين في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث للرعايا بوصفه رداءً شرفيًّا غالبًا في حفل تعيين لمنصب عامّ أو رمزًا لتأكيد التبعيّة للحاكم. صبيح نوري خلف، الهبات والخلع والهدايا للخلفاء العبّاسيّين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠١، ص١٣ – ١٥؛

Leo Ary Mayar. Mamluk Costume A Suevey. A.Kundig.1952.p.113 - 116.

(٢) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٩.

عندئذ رضخ للأمر الواقع أمام عنادي»[١].

غادر ديللافاليه كويبدة ووصفها بقوله: «فغادرنا كويبدة في الليل، ومررنا من جديد بالغنيمات، وفي (١٦) حزيران أكملنا السير إلى منتصف النهار أيضًا، فنزلنا قرب مياه مّرة المذاق، هناك هبّت علينا رياح حارّة شديدة، اقتلعت خيامنا ومزّقتها بحث اضطررنا في الليالي التالية إلى النوم في العراء، وهكذا سارت الأُمور في الأيّام اللاحقة. في (١٧) حزيران عبرنا جدولًا جفّ ماؤه»[٢]. في حديثة أعطى لنا وصفًا مناخيًّا لهذه المنطقة التي امتازت برياح حارّة وقويّة تستمرّ طويلًا، ممّا أدّى إلى اقتلاع الخيام؛ ونتيجة لهذا الجوّ الحار جفّت المياه في إحدى الجداول[٣]، وهذا يدلّ أيضًا على انخفاض منسوب المياه في النهر المغذّي لهذا الجدول وهو نهر الفرات.

امتازت مشاهدات الرحّالة ديللافاليه بعرض للوقائع والشخصيّات السياسيّة في المدّة التي عاصرها، إذ تطرّق إلى الحديث عن قرية العرجاء[٤]، التي كان يحكمها حسن آغا الكرديّ، ووصفها بقوله: «في (١٨) حزيران مررنا من بعيد بمنطقة يسكنها الأعراب تقع عن يميننا اسمها العرجاء يحكمها حسن آغا الكرديّ، هذا الرجل كان قد هرب من موطنه والتجأ إلى هذه

---

(١) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٢) مقتبس من:المصدر نفسه.

(٣) يبلغ عدد جداول نهر الفرات بين سوق الشيوخ والقرنة حوالي (١٠) جداول. يُنظر: صفيّة شاكر معتوق، التغيّرات الهيدروكيميائيّة لأهوار جنوب العراق وآثارها البيئيّة، مجلّة دراسات البصرة، السنة الثامنة، العدد ١٥، البصرة، ٢٠١٥، ص٢٣١.

(٤) العرجاء: تقع على الجانب الغربيّ من نهر الفرات، وتبعد عن الناصرية باتجاه السَّماوة نحو (٤) كم. يُنظر: يعقوب سركيس، مباحث عراقيّة في الجغرافيّة والتاريخ والآثار وخطط بغداد، القسم الثاني، تقديم: رفائيل بطي ومير بصريّ، بغداد، ١٩٥٥، ص٣٧٤.

القرية منذ زمن بعيد، واختلط هناك بالأعراب وتصاهر معهم، حتّى احتلّ مكانا مرموقًا بينهم، وقد حمل إليه القبوجيّ إبراهيم خلعة من السردار، لكنّنا لم نذهب إلى القرية؛ لأنّها كانت محاطة بمياه الفيضان، كما أنّ الجمّالين لم يستحسنوا الذهاب إلى هذه الحاضرة ليتملّصوا من تأدية إتاوة جديدة من المؤكّد أنّها تُجمع هناك، فضربنا خيامنا حيث وجدنا»[1]. فبيّن ديللافاليه أنّ سبب إقامتهم خارج هذه القرية يعود إلى الظروف المتمثّلة بالفيضان الذي أصابها في عام (١٦٢٥)، فضلًا عن ابتعادهم عن دفع الضرائب التي تؤخذ منهم في حال دخولهم للقرية.

مكث ديللافاليه والقافلة التجاريّة في المنطقة يومين (١٨ - ١٩) حزيران؛ بسبب الفيضان، إذ لم يكن هناك طريق سالك إلى بغداد، ممّا دفع بالقبوجيّ إلى إرسال أحد الغلمان سباحة إلى العرجاء؛ ليعلمه عن هديّة السردار، ويطلب منه أن يدلّه على الطريق، ويرسل معه حاملي البنادق؛ لحماية القافلة في الطريق البرّيّ[2]، ممّا أدّى بالتالي إلى مكوثهم في المنطقة انتظارًا لجواب حسن آغا الكرديّ.

ومن الملاحظات التي سجّلها في رحلته عن هذه المنطقة هو وجود أصداف بحريّة على الرغم من بعدها عن البحر ، كما لاحظ انتشار قطع القار بكثرة فيها، بقوله: «لاحظتُ في ذلك الموقع وجود أصداف بحريّة بعضها كاملة والأُخرى متكسّرة، فاستغربت وجودها؛ لبعد المكان عن البحر، كما رأيت هناك قطعًا من القار متناثرة في تلك الأرض السبخة، فأخذت نماذج منها»[3].

---

(١) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٣٩ - ١٤٠.

(٢) مقتبس من: المصدر نفسه، ص١٤٠.

(٣) مقتبس من: المصدر نفسه.

وتحدّث أيضًا عن الأعراب الذين يُطلق عليهم تسمية المعيديّ[1]، إذ وصف حياتهم وطريقة سكناهم بقوله: «في تلك الليلة توجّسنا شرًّا من هجوم بعض الأعراب الذين يُطلق عليهم اسم المعيديّ وهم رعاة الجاموس، هؤلاء يتجولون في البيداء تارة، ويسكنون في البيوت تارة أخرى، ويختلفون عن البدو، فالبدو أرقى طبقة بين العرب، أمّا أقلّهم منزلة فهم الحضر[2]، فاتّقاء لشرّهم ابتعدنا عن ذلك المكان نحو ميل ونزلنا في موضع خرب بشكل تلّ»[3].

---

(١) المعيديّ: هم طبقة من المجتمع تسكن أهوار العراق الجنوبيّة منذ العهد السومريّ، ويُطلق عليهم أيضًا اسم المعدان وهي كلمة تُطلق على كلّ مربّي الجاموس، وعلى الأرجح أنّ أصل كلمة المعدان تعود إلى المعاداة أو المعادين للحكومة، فكان أغلب المعارضين للحكومة يهربون إلى الأهوار ويلتجئون بها؛ لكي لا تصل إليهم يدها، إلّا أنّ هذه الكلمة حُرّفت إلى المعدان؛ للتقليل منهم والاستهزاء بهم، وتُعدّ تربية الجاموس المهنة الرئيسة لهم، فالجاموس يتطلّب مياهًا وفيرة ودائمة، وهي موجودة في الأهوار، وعليها يقوم اقتصادهم بمقايضة حليبها ومشتقّاته ويحصلون على ما يحتاجون إليه من دكاكين سوق الشيوخ، إضافة إلى ذلك فكانوا يزاولون صيد الأسماك والطيور، ويبنون بيوتهم على جزر صغيرة تُسمّى (الچبيشة)، وهي خليط من القصب والبردي، ويقومون بضغطها ورصفها بعضًا فوق بعض حتّى تلتصق بقاع الهور، ويُلقى عليه التراب ليصبح كالجزيرة الصغيرة، ويتمّ تثبيتها بواسطة أعمدة، ومن ثَمّ يبنون بيوتهم فوقها من القصب والبردي، وكان غذاؤهم الرئيس الخبز وحليب الجاموس ومشتقّاته، وكذلك الطيور والسمك. للتفاصيل، يُنظر: ويلفرد فيسجير، المعدان أو سكّان الأهوار، تعريب: باقر الدجيليّ، بغداد، ١٩٥٦.

(٢) الحضر: هم سكّان المدن الذين يمتهنون البيع والشراء والصناعات اليدويّة التي لها علاقة مباشرة بحياتهم اليوميّة، وهم لا يختلفون كثيرًا عن سكّان الأرياف من حيث التقاليد والعادات، إلّا أنّهم أوفر حظًّا من حيث المأكل وبعض وسائل الراحة والأمان. عبد العال وحيد العيساويّ، المصدر السابق، ص٥٥.

(٣) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٤٠.

ونتيجة لخوفهم من بعض رجال القبائل اتّجهوا إلى موقع خرب على شكل تلّ، قام ديللافاليه باستكشاف المنطقة وتعرّف على كيفيّة بنائها، إذ وجدها أنّها مبنيّة من الآجرّ المشويّ بأحجام كبيرة وملتصقة بواسطة مادّة لزجة تُعرف باسم القار أو الزفت، وذكر ذلك بقوله: «وفي صباح (١٩) حزيران ذهبت إلى خرائب الأبنية القديمة التي نزلنا عندها لأتفحّصها بعناية أكبر، فلم أعرف بالضبط أصلها، لكنّي وجدتها في حالة جيّدة، وهي مبنيّة بالآجرّ المشويّ كبير الحجم، ومعظمها تحمل كتابة وختمًا في وسطها بحروف غريبة مجهولة تظهر لي قديمة جدًّا. فأخذت آجرّة منها، ولاحظت أنّ الآجرّ ملتصق إلى بعضه في البناء لا بالملاط، ولكن بالقار أو الزفت الذي ينبع في تلك السهول، ويطلق العرب على ذلك التلّ الخراب اسم «المقيّر»»[١].

ووجد أيضًا قطعًا من الرخام الأسود الصلب ذات ملمس ناعم، واعتقد ديللافاليه أنّه يُستخدم للاختام، كما قام بوصف الأحرف والرموز المتكرّر في مواقع متعدّدة من الموقع الأثريّ، تحدّث عنه قائلًا في: «صباح (٢٠) حزيران عدت إلى الخرائب، وطفت حولها، فوجدت على الأرض قطعًا من الرخام الأسود الصلب، ناعم الملمس، حُفرت فيه أحرف من نفس الشكل الذي وجدته على الآجرّ، وهي حسب اعتقادي تُستعمل كالختم الذي لا يزال الشرقيّون يستعملونه إلى اليوم، لأنّ اختامهم هي عبارة عن أحرف أو كلمات محفورة لاسم صاحبها ومعها شعارات تعبّر عن التواضع والتقوى، أو بعض عناوين الشرف، أو كلمات أُخرى حسب رغبة صاحب الختم لأنّه يستعملها لشخصه فقط، ولا تعمّم على أفراد الأُسرة كافّة كما هي العادة عندنا في صنعنا الأختام، ومن بين الأحرف التي

(١) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٤١.

رأيتها تُكرّر في مواضع عديدة، ثمّة أحرف لها صورة الهرم المنبطح ( ) والشكل الآخر يشبه نجمة ذات ثمانية رؤوس ( )»[١].

ومن مميّزات كتابة الرحّالة ديللافاليه هو توثيقه للأحداث السياسيّة التي عاصرها، إذ سجّل في هذه المدّة خلال حكم حسن آغا الكرديّ محاولة الصفويّين في عهد الشاه عبّاس الأوّل التقرّب إليه؛ من أجل قيام تحالف سياسيّ معه مستغلّين تدهور الأوضاع السياسيّة في بغداد منها قيام حركة بكر صوباشي[٢] (١٦١٩ - ١٦٢٣)[٣]، فقال: «كان الصفويّون قد زاروا حسن آغا صاحب العرجاء أثناء أحداث بغداد، وحملوا إليه تاجًا[٤] مرسلًا من الشاه كما هي عادته في الإرسال به إلى ذوي الشان عندما يريد دعوتهم إلى خدمة مصلحته وإعلانهم الوقوف إلى جانبه، فتسلّم حسن آغا التاج»، ونتيجة لهذا الوضع رفض القبوجيّ تسليم هديّة السردار لصاحب

(١) ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٤١ - ١٤٢.

(٢) صوباشي: رتبة عسكريّة تُطلق على صاحب الشرطة، وكان لصاحب هذا اللقب إقطاعيّات من التيمار، واستُعمل لقب صوباشي استعمل للدلالة على رتبة عسكريّة خاصّة بسلاح الفرسان. يُنظر: عبّاس إسماعيل صبّاغ، المصدر السابق، ص١٥٩.

(٣) للتفاصيل عن الموضوع، يُنظر: سيار كوكب جميل، تكوين العرب الحديث، الموصل، ١٩٩١، ص٣٥.

(٤) شرح ديللافاليه معنى التاج، قال: «أعدّ إسماعيل جيشًا من التركمان، سمّاه قزل باش أي: الرأس الأحمر؛ ذلك لأنّه ألبس رؤوس هذا الجيش ملبوسًا أحمر، ويُسمّى هذا الملبوس تاجًا هو علامة الجيش ورماة النبال، ويوافق أحيانا ان يجعل الملك أحد الأجانب قزلباشيًّا إظهارًا لمرضاته عنه وذلك بتشريفه بالتاج». مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٤٠.

العرجاء حسن آغا الكرديّ لكونه أصبح معاديًا لسلطة السلطان العثمانيّ[١] ومتحالفًا مع الصفويّين[٢].

وبهذا تحرّكت القافلة في مساء يوم (٢٠) حزيران خوفًا من أن يصدر حسن آغا الكرديّ قرارًا بالقبض عليها جرّاء ردّ فعل القبوجيّ الذي رفض تسليم الهديّة إليه، ووصف ديللافاليه الأراضي التي مرّ بها بقوله: «في (٢١) حزيران مررنا بأراضٍ بعضها مغمورة بالمياه كالمستنقعات مليئة بالقصب، وبعضها الآخر بيضاء. بسبب السبخة، وهناك أحطاب متشابكة»، وتعرّض في (٢٢) حزيران إلى حريق؛ بسبب بعض المدخّنين، فقد سقطت النار من يد أحد الجمّالين الذين يستنشقون السعوط (التتن)[٣]، فانتشرت النار في الهشيم وكادت أن تلتهم أمتعتهم[٤].

وبهذا نلاحظ أنّ مشاهدات الرحّالة ديللافاليه قد قدّمت معلومات قيّمة، تميّزت بدقّة الملاحظة والرصد من خلال وصف السكّان وطبائعهم وطريقة عيشهم وعاداتهم وتقاليدهم، ممّا جعل كتاباته شاهدًا حيًّا ومعاصرًا لتلك الأحداث والظروف التي مرّت بها المنطقة في تلك المدّة.

---

(١) كان السلطان العثمانيّ في هذه المدّة هو السلطان مراد الرابع من السلاطين العثمانيّين الأقوياء، تولّى الحكم والدولة تمرّ بمرحلة من الضعف والانحلال، وتمكّن بالفعل من تصفية الأُمراء المستقلّين في لبنان وسوريا، ونجح في استرداد بغداد عام ١٦٣٨ من أيدي الصفويّين. يُنظر: مؤيد أحمد خلف الفهد، المصدر السابق، ص٢٣.

(٢) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٤٠ - ١٤٢.

(٣) السعوط (التتن) : هي ما يقطر من السوائل في الأنف. للتفاصيل، يُنظر: محمّد ياسر زكور، اصطلاحات الطب القديم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٢٧٩.

(٤) مقتبس من: ديللافاليه، المصدر السابق، ص١٤٢.

الخاتمة

من دراستنا للمنتفق في رحلة الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه عام (١٦٢٥) توصّلنا إلى جملة من الاستنتاجات:

١. أسهمت الرحلات التي قام بها الرحّالة الأُوربّيّون وخاصّة في القرن السابع عشر إلى بيان المعالم الحضاريّة في اتّحاد قبائل المنتفق، وبذلك تُعدّ من أهمّ المصادر التي تناولت تاريخ العراق الحديث، إذ تُعدّ رحلة ديللافاليه من الرحلات التي صوّر لنا الأوضاع فيها بتوثيقها في مشاهداته من النواحي السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والحضاريّة.

٢. رسم ديللافاليه الحالة الاجتماعيّة في المنتفق بالتعريف بالطبقات الاجتماعيّة وسماتها، مثل: بيان صفات ومميّزات كلّ من البدو وسكّان الحضر والمعدان، إذ قام بحسب مشاهداته، بجعل البدو أفضل من سكّان المنطقة، وبعدها سكّان الحضر، ثمّ المعدان، وجاء هذا التقسيم من انطباعات الرحّالة ديللافاليه حول سكّان المنطقة.

٣. تطرّق الرحّالة إلى الوضع الاقتصاديّ في اتّحاد القبائل، إذ إنّه أوضح جانب الضرائب (الإتاوة) منه، على اعتبار أنّ المنطقة هي حلقة الوصل بين البصرة وبغداد، بطرقها البرّيّة والنهريّة، ومن الجدير بالذكر أنّ الرحّالة ذكر الضرائب؛ وذلك لكثرتها في المنطقة، وتفادى دخول المدن أو القرى؛ لكي لا يدفع الضرائب.

٤. ومن مميّزات مشاهدات ديللافاليه هو اهتمامه بالجانب السياسيّ للمدن أو القرى التي مرّ بها، فضلًا عن اهتمامه بالشخصيّات الحاكمة، ومن تلك

الشخصيّات الشيخ عبدالله، وحسن آغا الكرديّ صاحب العرجاء، وتطرّق إلى أساليب الصفويّين في التحالف مع بعض الساسة ومنهم حسن آغا الكرديّ من خلال تسليمه التاج الذي يدلّ على تحالفه معهم، حيث ساعد هذا التوثيق على التعرّف على الحياة السياسيّة في المنطقة.

٥. لم تقتصر مشاهدات ديللافاليه على وصف الوضع السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ للاتّحاد، بل كانت سجلًّا للمعالم الحضاريّة الموجودة في المنطقة، ومنها آثار المقيّر (أُور)، وأعطى وصفًا عن الوضع المناخيّ للمنطقة خلال مدّة إقامته في المنطقة شهري أيّار وحزيران.

وممّا تقدم يمكننا القول: إنّ رحلة الرحّالة ديللافاليه للعراق ومنها اتّحاد قبائل المنتفق عام ١٦٢٥ أعطت لنا تصوّرًا واضحًا عن الوضع السائد في المنطقة، وفي الوقت نفسه تُعدّ توثيقًا لتاريخ المنتفق خلال العصر الحديث.

قائمة المصادر

أوّلًا: الكتب:

أ – الكتب العربيّة والمعرّبة:

١. إبراهيم خلف العبيديّ، الأحواز أرض عربيّة سليبة، ١٩٨٠.

٢. بديع محمّد جمعة، الشاه عبّاس الكبير ١٥٨٧ – ١٦٢٩، المطبعة العصريّة، بيروت، ١٩٨٠.

٣. جبران مسعود، الرائد، ط٧، بيروت، ١٩٩٢.

٤. جعفر الخيّاط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج ١، بغداد، ١٩٧١.

٥. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٦١.

٦. حسن عليّ خلف، المفصّل في تاريخ مدينة الناصريّة دراسة تاريخيّة وسياسيّة، ج١، دار المرتضى للطباعة والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٥.

٧. خورشيد أفندي، سياحتنامه حدود، تعريب: نوري عبد البخيت السامرائيّ، بغداد، ١٩٨٠.

٨. ديللافاليه، رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر، ترجمة وتحقيق: بطرس حداد، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦.

٩. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخيّاط، ط٣، بغداد، ١٩٦٢.

١٠. سليمان فائق، تاريخ بغداد، تعريب: موسى كاظم نورس، بغداد، ١٩٦٢.

١١. سيّار كوكب عليّ الجميل، تكوين العرب الحديث، الموصل، ١٩٩١.
١٢. صلاح الدين عبد الغنيّ، مدن لها تاريخ، ج٢، الجيزة، ٢٠١٦.
١٣. عبّاس إسماعيل صبّاغ، تاريخ العلاقات العثمانيّة - الإيرانيّة الحرب والسلام بين العثمانيّين والصفويّين، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩.
١٤. عبّاس العزّاويّ، تاريخ النقود العراقيّة، بغداد، ١٩٥٨.
١٥. .....، عشائر العراق، ج٤، مكتبة الصفا والمروة، لندن، د. ت.
١٦. عبد الله الفيّاض، الثورة العراقيّة الكبرى عام ١٩٢٠، ط٢، بغداد، ١٩٧٥.
١٧. عبد العال وحيد العيساويّ، لواء المنتفق في سنوات الاحتلال البريطانيّ ١٩١٤ - ١٩٢١ دراسة في أحواله الإداريّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، النجف الأشرف، ٢٠٠٨.
١٨. كلوديوس جيمس ريج، رحلة ريج في العراق، ترجمة: بهاء الدين نوري، ط١، ج٢، بيروت، ٢٠٠٣.
١٩. ليونهارت رأوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين سنة ١٥٧٣، ترجمة: سليم طه التكريتيّ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.
٢٠. مؤيّد سعيد بسيم وآخرون، الدليل الإداريّ للجمهوريّة العراقيّة، ج٢، الدار العربيّة، بغداد، ١٩٩٠.
٢١. محمّد بن خليفة النبهانيّ، التحفة النبهانيّة في تاريخ الجزيرة العربيّة،ج١٠، ط٢، القاهرة، ١٣٤٤هـ.
٢٢. محمّد شكري الآلوسيّ، تاريخ نجد، تحقيق: محمّد بهجت الأثريّ، القاهرة، ١٩٢٩.

٢٣. محمّد ياسر زكور، اصطلاحات الطبّ القديم، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت.

٢٤. ويلفرد فيسجير، المعدان أو سكّان الأهوار، تعريب: باقر الدجيليّ، بغداد، ١٩٥٦.

٢٥. يعقوب سركيس، مباحث عراقيّة في الجغرافيّة والتاريخ والآثار وخطط بغداد، القسم الثاني، تقديم: رفائيل بطي ومير بصريّ، بغداد، ١٩٥٥.

٢٦. يوسف حبي، ديللافاليه في العراق، مجلّة آفاق عربيّة، السنة الثالثة عشرة، العراق، أيّار١٩٨٨.

ب - كتب باللغة الإنكليزيّة:

1 - Leo Ary Mayar. Mamluk Costume A Suevey. A.Kundig.1952.

ثانيًا: البحوث المنشورة:

١. إبراهيم محمّد ساجت، ثورة آل طويل في بغداد ١٦٠٣ - ١٦٠٨، مجلّة الكلّيّة الإسلاميّة الجامعة، مج ٢، العدد٤١، النجف الأشراف، ٢٠١٦.

٢. بطرس حدّاد، مقتطفات من رحلة ثيفنو إلى العراق في القرن السابع عشر، مجلّة بين النهرين، السنة الثانية، العدد٨، الموصل، ١٩٧٤.

٣. حسين عليّ عبيد المصطفى، لواء المنتفق في الوثائق العثمانيّة سالنامات البصرة أُنموذجًا ١٨٩٠ - ١٩٠٠، مجلّة أُوروك للعلوم الإنسانيّة، مج ٨، العدد١، ج٢، جامعة المثنّى، ٢٠١٥.

٤. حيدر جاسم الرويعيّ، أهداف الرحّالة الأُربّيّين وتوجّهاتهم إلى العراق، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، مج ١٥، العدد ٢، القادسيّة، ٢٠١٢.

٥. - - - - - - - - - - - - ، نشاطات الآباء الكرمليّين في العراق

حتّى الحرب العالميّة الأُولى، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، مج ٨، العدد١ - ٢، القادسيّة، ٢٠٠٥.

٦. صفة شاكر معتوق، التغيّرات الهيدروكيميائيّة لأهوار جنوب العراق وآثارها البيئيّة، مجلّة دراسات البصرة، السنة الثامنة، العدد ١٥، البصرة، ٢٠١٥.

٧. صلاح الدين محسن زاير، تخطيط وعمارة مرقد نبيّ الله العزير عليه السلام، مجلّة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٥٩، جامعة بغداد، ٢٠١٧.

٨. عادل محمّد عليّ الشيخ حسين، رحلة ليونهارت رأوولف إلى العراق وما انطوت عليه من نبات وشجر، مجلّة المورد، مج١٨، العدد ٤، العراق، ١٩٨٩.

٩. عاطف منصور رمضان، مسكوكة اللارين المتداولة في الخليج العربيّ (١٠ - ١٣هـ، ١٦ - ١٩م)، مجلّة مركز المسكوكات الإسلاميّة، العدد ٣، كلّيّة الآثار –جامعة الفيّوم، مصر، ٢٠٢٠.

١٠. عبد الباسط عبد الرزّاق حسين وعليّ نايف مجيد، بنو المنتفق ودورهم في الحياة العامّة في العصور الإسلاميّة حتّى نهاية العصر الأُموي ١٣٢هـ، ٧٤٩م، مجلّة ديالى، العدد ٦١، ٢٠١٤.

١١. فاطمة فالح جاسم وفاطمة عبد الجليل ياسر، الحصار الفارسيّ لمدينة البصرة عام (١٦٢٤ - ١٦٢٥) وفق مشاهدات الرحّالة الإيطاليّ ديللافاليه، مجلّة تراث البصرة، المجلّد٣، العدد٩، البصرة، ٢٠١٩.

١٢. كوركيس عوّاد، بيبلوغرافيا عن الرحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلّة المورد، مج ١٨، العدد٤، العراق، ١٩٨٩.

١٣. محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانيّة، مجلّة دراسات تاريخيّة، العددان ١٧، ١٨، سورية، كانون الثاني–حزيران ٢٠١٢.

١٤. هشام سوادي هاشم، أربيل في كتابات الرحّالة الأجانب في العهد العثمانيّ، مجلّة التربية والعلم، مج ١٥، العدد ٣، جامعة الموصل، ٢٠٠٨.

ثالثًا: الرسائل والأطاريح الجامعيّة:

١. أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجّاميّ، سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفق ١٧٦١ - ١٨٦٩ دراسة في أوضاعها السياسيّة والاقتصاديّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٠.

٢. صبيح نوري خلف، الهبات والخلع والهدايا للخلفاء العبّاسيّين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠١.

٣. عليّ إبراهيم محمّد مصطفى، السَّماوة ١٩٢١ - ١٩٤٥ دراسة تاريخيّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٠.

٤. مؤيّد أحمد خلف الفهد، السياسة العثمانيّة تجاه العشائر العراقيّة (١٧٥٠ - ١٨٦٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٢.

رابعًا: المواقع الألكترونيّة:

https: //ar.wikipedia.org/wiki/.